موجز في التفسير

سورة الانشقاق

سليمان بيضون

* **السورة الرابعة والثمانون في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد سورة «الانفطار».**
* **سُمّيت بـ«الانشقاق» لابتدائها بعد البسملة بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾.**
* **آياتها خمس وعشرون، وهي مكيّة، وفي الحديث النبويّ الشريف أنّ مَن قرأها «أعاذه الله أن يؤتيَه كتابَه وراءَ ظهره».**
* **ما يلي موجز في التعريف بهذه السورة المباركة اخترناه من تفاسير: (نور الثّقلين)، و(الميزان)، و(الأمثل).**

انشقاقُ السماء بمعنى تصدّعها وانفراجها، وهو من أشراط الساعة، كـ«مدّ الأرض»، وسائر ما ذُكر في مواضع من كلامه تعالى؛ من تكوير الشمس، واجتماع الشمس والقمر، وانتثار الكواكب ونحوها.

محتوى السورة

تشير السورة إلى قيام الساعة، وتلفت إلى أنّ للإنسان سيراً إلى ربّه تعالى حتّى يلاقيه، فيحاسَب على ما يقتضيه كتاب أعماله، وتؤكّد القولَ في ذلك، ويغلب فيها الإنذار على التبشير. وهي لا تخرج عن الإطار العام لسوَر الجزء الأخير من القرآن الكريم، وتتوزّع مواضيعها على النحو التالي:

١) تبدأ بوصف علامات القيامة وما سوف يقع من أحداث مروّعة في نهاية العالم.

٢) تتحدّث ثانياً عمّا ستؤول إليه عاقبة كلٍّ من الصالحين والمجرمين.

٣) توضيح ماهيّة الأعمال والعقائد التي تجُرّ الإنسانَ إلى سخط الله وخلوده مهاناً في العذاب.

٤) ثم تنتقل السورة المباركة لعرض مراحل سير الإنسان في حياتَيه (الدنيا والآخرة).

٥) وفي آخر مطاف السورة يدور الحديث عن جزاء الأعمال الحسنة والسيّئة.

ثواب قراءتها

* عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، أنّه قال: «**مَن قَرأ سورة (انشقّت) أعاذَه اللهُ أنْ يؤتيَه كتابَه وراء ظهرِه**».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن قَرأ هاتَين السورتَين - الانفطار والانشقاق - وجَعلَهما نصبَ عينِه في صلاة الفريضةِ والنافلةِ، لَمْ يَحجبْه من اللهُ حجابٌ، ولَمْ يَحجزْهُ من الله حاجزٌ، ولَمْ يَزلْ يَنظر إليهِ حتى يَفرغَ مِن حسابِ النّاس**».

تفسير آيات من السورة المباركة

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ الآيتان:٨-٩.

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**ثلاثٌ مَن كُنّ فيهِ حاسَبهُ اللهُ حساباً يسيراً وأَدخلَهُ الجنّةَ بِرحمتِه.**

قالوا: وما هي يا رسولَ الله؟

قال: **تُعطِي مَن حَرَمَك، وتَصِلُ مَن قَطَعك، وتَعفو عَمَّن ظَلَمَك**».

* وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «..**والنّاسُ يومئذٍ على طبقاتٍ ومَنازل، فمِنهُم مَن يُحاسَبُ حِساباً يسيراً ويَنقلبُ إلى أهلِه مَسروراً، ومنهُم الذينَ يَدخلونَ الجَنّةَ بِغَيرِ حِساب،**

لأنّهم لَمْ يتلبَّسوا مِن أمرِ الدّنيا بِشيءٍ، وإنّما الحسابُ هناك على مَن تَلَبَّس بها هَاهُنا، ومنهُم مَن يُحاسَبُ على النَّقيرِ والقِطمِيرِ ويَصير إلى عذابِ السّعِيرِ». [النقير: نُقْرَةٌ (نقطةٌ) في ظهر نواة التمر. القِطمير: القِشْرة الدقيقة التي بين النواة والتمر]

* عن الإمام الباقر عليه السلام: **«إنّما يُداقُّ اللهُ العِبادَ في الحِسابِ يومَ القِيامةِ على قَدْرِ ما آتاهُم مِن العقولِ في الدُّنيا».**

قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الآية:١٩.

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **«لَتركبُنَّ سُنّةَ مَن كانَ قبلكُم حَذْوَ النّعلِ بالنّعلِ، والقُذَّةِ بالقُذَّة.... حتّى أنْ لو كان مَن قبلَكُم دَخلَ جُحْرَ ضبٍّ لَدخلتُموه.... لَتنْقُضُنَّ عُرى الإسلام عُروةً عُروة، فيكون أوّلَ ما تَنقضونَ من دِينِكُم الإمامةُ وآخرَه الصّلاةُ».**

* وعن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الآية: **«لَتَسلكُنّ سبيلَ مَن كان قبلِكُم من الأُمَمِ في الغَدرِ بالأوصياءِ بعدَ الأنبياءِ».**

«الكَدْح» أو السير إلى الله تعالى

من (تفسير الميزان) للعلامة الطباطبائي في شرح آياتٍ من سورة (الانشقاق):

* قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: الضمير للأرض، والإذْن الاستماع، ومنه الأذُن لجارحة السمع، وهو مجاز عن الانقياد والطاعة، والمعنى: وأطاعت الأرض وانقادت لربّها. ﴿وَحُقَّتْ﴾، أي كانت جديرةً بأن تستمع وتُطيع.

* قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾: المراد به اتّساع الأرض، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ..﴾ إبراهيم:٤٨.

* قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾: أي ألقت الأرض ما في جوفها من الموتى، وبالغت في الخلو ممّا فيها منهم.

وقيل: المراد إلقائها الموتى والكنوز، كما قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزلزلة:٢.

* قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾: «الكَدْح» هو السعي والعناء، وفيه معنى السير، وقيل: «الكَدْحُ جَهْدُ النفس في العمل حتى يؤثّر فيها». وعلى هذا فهو مضمون معنى السير، بدليل تعدّيه بـ(إلى).

وقوله تعالى: ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ عطفٌ على ﴿كَادِحٌ﴾، وقد بيّن به أنّ غاية هذا السير والسعي والعناء هو الله سبحانه بما أنّ له الربوبيّة؛ أي إنّ الإنسان بما أنّه عبد مربوب ومملوك مدبَّر، ساعٍ إلى الله سبحانه بما أنّه ربّه ومالكه المدبّر لأمره، فإنّ العبد لا يملك لنفسه إرادةً ولا عملاً، فعليه أن يريد وأن لا يعمل إلّا ما أراده ربُّه ومولاه وأمَرَه به، فهو مسؤولٌ عن إرادته وعمله.

ومن هنا يظهر: أنّ قوله: ﴿..إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ..﴾ يتضمّن حجّةً على المعاد لِما تقرّر في محلّه من أنّ الربوبية لا تتمّ إلّا مع عبودية، ولا تتمّ العبودية إلّا مع مسؤولية، ولا تتمّ مسؤوليةٌ إلّا برجوعٍ وحسابٍ على الأعمال، ولا يتمّ حسابٌ إلّا بجزاء.

* قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: الحسابُ اليسير ما سوهِلَ فيه وخلا عن المناقشة.

* قوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾: المراد بالأهل مَن أعدّه الله له في الجنّة من الحُور وغيرهم، وهذا هو الذي يفيده السياق، وقيل: المراد به عشيرته المؤمنون ممّن يدخل الجنة، وقيل المراد فريق المؤمنين وإن لم يكونوا من عشيرته؛ فالمؤمنون إخوة. والوجهان لا يخلوان من بُعد.

(مختصر)

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾

نحاسَب على أحوال القلوب وأوصافها

العلّامة السيد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله

وقفة مع تفسير قوله تعالى في الآية (٢٨٤) من سورة البقرة: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، مختصرة من تفسير الميزان (ج ٢، ص ٤٣٥ - ٤٣٧) للعلامة الطباطبائي رحمه الله.

* قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ..﴾: كلام يدلّ على مُلكه تعالى لعالم الخلق ممّا في السماوات والأرض، وهو تمهيد لقوله بعده: ﴿..وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ..﴾، أي إنّ له ما في السماوات والأرض، ومن جملتها أنتم وأعمالكم وما اكتسبتها نفوسكم، فهو محيطٌ بكم مهيمنٌ على أعمالكم، لا يتفاوت عنده كون أعمالكم بادية ظاهرة، أو خافية مستورة فيحاسبكم عليها.

وربما استُظهر من الآية:

١) كون السماء من سِنخ أعمال القلوب وصفات النفس، فما في النفوس هو ممّا في السماوات؛ ولله ما في السماوات.

٢) كما أنّ ما في النفوس إذا أُبدي بعمل الجوارح كان ممّا في الأرض؛ ولله ما في الأرض...

* قوله تعالى: ﴿..وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ..﴾: الإبداء هو الإظهار مقابل الإخفاء، ومعنى ﴿..مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ..﴾ ما استقرّ في أنفسكم على ما يعرفه أهل العرف واللغة من معناه، ولا مستقرّ في النفس إلّا الملكات والصفات من الفضائل والرذائل؛ كالإيمان، والكفر، والحب، والبغض، والعزم، وغيرها، فإنّها هي التي تقبل الإظهار والإخفاء.

أمّا إظهارها فإنّما يتم بأفعال مناسبة لها تصدر من طريق الجوارح، يُدركها الحسّ.

ويحكم العقل بوجود تلك المصادر النفسية المسانخة لها؛ إذ لولا تلك الصفات والملكات النفسانية من إرادة، وكراهية، وإيمان، وكفر، وحبّ، وبُغض، وغير ذلك، لم تصدر هذه الأفعال، فبصدور الأفعال يظهر للعقل وجود ما هو منشأها.

وأمّا إخفاؤها فبالكفّ عن فعل ما يدلّ على وجودها في النفس.

وبالجملة، فظاهر قوله تعالى ﴿..مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ..﴾، الثبوت والاستقرار في النفس، ولا يعني بهذا الاستقرار التمكّن في النفس بحيث يمتنع الزوال كالملكات الراسخة، بل يعني ثبوتاً تامّاً يُعتدّ به في صدور الفعل، كما يُشعر به قوله سبحانه: ﴿..وَإِن تُبْدُواْ..﴾، وقوله: ﴿..أَوْ تُخْفُوهُ..﴾، فإنّ الوصفين يدلان على أنّ ما في النفس، بحيث يمكن أن يكون مُنشِئاً للظهور، أو غير منشئٍ له...

وأمّا الخطورات والهواجس النفسانية الطارئة على النفس من غير إرادة من الإنسان، وكذلك التصورات الساذجة التي لا تصديق معها كتصوّر صور المعاصي من غير نزوعٍ وعزم، فلفظُ الآية غير شامل لها البتة، لأنّها كما عرفتَ غير مستقرّة في النفس، وليست منشأً لصدور الأفعال.

فتحصّل: أنّ الآية إنّما تدلّ على الأحوال والملكات النفسانية التي هي مصادر الأفعال من الطاعات والمعاصي،

وأنّ الله سبحانه وتعالى يحاسب الإنسان عليها، فتكون الآية في مساق قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ ..﴾ البقرة:٢٢٥.

وقوله تعالى: ﴿..فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ..﴾ البقرة:٢٨٣.

وقوله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ الإسراء:٣٦.

فجميع هذه الآيات دالّة على أنّ للقلوب - وهي النفوس - أحوالاً وأوصافاً يحاسَب الإنسان عليها.

وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ..﴾ النور:١٩، فإنّها ظاهرة في أنّ العذاب إنّما هو على الحبّ الذي هو أمرٌ قلبيّ...

فهذا ظاهر الآية، ويجب أن يعلم: أنّ الآية إنّما تدلّ على المحاسبة بما في النفوس، سواء أُظهر أو أُخفي.

وأمّا كون الجزاء في صورتَي الإخفاء والإظهار على حدٍّ سواء، وبعبارة أخرى كون الجزاء دائراً مدار العزم، سواء فعل أو لم يفعل، وسواء صادف الفعلُ الواقعَ المقصود أو لم يصادف كما في صورة التجرّي مثلاً، فالآية غير ناظرة إلى ذلك.

وقد أخذ القوم في معنى الآية مسالك شتّى لِما توهّموا أنّها تدلّ على المؤاخذة على كلّ خاطرٍ نفسانيّ مستقرّ في النفس أو غيره، وليس إلّا تكليفاً بما لا يطاق، فمِن ملتزمٍ بذلك ومن مؤوِّل يريد به التخلّص.

فمنهم من قال: «إنّ الآية تدلّ على المحاسبة بكلّ ما يَرِد القلبَ، وهو تكليفٌ بما لا يطاق، لكنّ الآية منسوخة بما يتلوها من قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا..﴾ البقرة:٢٨٦».

وفيه: أنّ الآية غير ظاهرة في هذا العموم... على أنّ التكليف بما لا يطاق غير جائز بلا ريب، على أنّه تعالى يخبر بقوله: ﴿..وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ..﴾ الحج:٧٨، بعدم تشريعه في الدين ما لا يُطاق.

ومنهم من قال: «إنّ الآية مخصوصة بكتمان الشهادة (البقرة:٢٨٣)، ومرتبطة بما تقدَّمها من آية الدَّين (البقرة:٢٨٢)»، وهو مدفوعٌ بإطلاق الآية، كقول مَن قال: «إنّها مخصوصة بالكفّار».

ومنهم مَن قال: «المعنى: إن تُبدوا بأعمالكم ما في أنفسكم من السوء، بأن تتجاهروا وتعلنوا بالعمل، أو تخفوه بأن تأتوا الفعل خفية، يحاسبكم به الله».

ومنهم مَن قال: «إنّ المراد بالآية مطلق الخواطر، إلّا أنّ المراد بالمحاسبة الإخبار. أي إنّ جميع ما يخطر ببالكم، سواء أظهرتموه أو أخفيتموه، فإنّ الله يخبركم به يوم القيامة، فهو في مساق قوله تعالى: ﴿..فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾». ويدفع هذا وما قبله بمخالفة ظاهر الآية كما تقدّم.

إظهار ما في النفس يتمّ بأفعال مناسبة لها تصدر من طريق الجوارح ويُدركها الحسّ ويحكم العقل بوجود تلك المصادر النفسية المسانخة للأفعال

التوسّل بالنبيّ والوليّ
معنى الاستعانة بالصبر والصلاة

العلّامة السيد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله

من تفسير الميزان (ج ١، ص ١٥١ - ١٥٤) للعلامة الطباطبائي رحمه الله، هذا الشرح القيّم لمعنى قوله تعالى، في سورة البقرة: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

* قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ..﴾: الاستعانة - وهي طلب العون - إنّما تتمّ فيما لا يقوى الإنسان عليه وحده من المهمّات والنوازل، وإذ لا معين في الحقيقة إلّا الله سبحانه، فالعون على المهمّات مقاومةُ الإنسان لها بالثبات والاستقامة والاتصال به تعالى بالانصراف إليه، والإقبال عليه بنفسه، وهذا هو الصبر والصلاة.

* قوله تعالى: ﴿..وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾، الضمير راجع إلى الصلاة، والفرق بين الخشوع والخضوع - مع أنّ في كليهما معنى التذلّل والانكسار - أنّ الخضوع مختصّ بالجوارح، والخشوع بالقلب.

* قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ..﴾. هذا المورد، أعني مورد الاعتقاد بالآخرة على أنّه مورد اليقين، لا يفيد فيه الظنّ والحسبان الذي لا يمنع النقيض، قال تعالى: ﴿..وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ البقرة:٤.

ويمكن أن يكون الوجه فيه الأخذ بتحقّق الخشوع، فإنّ العلوم التدريجيةِ الحصولِ من أسبابٍ تدريجية، تتدرّج فيها النفس المدرِكة من تنبّهٍ وشكّ، ثمّ ترجّح أحد طرفَي النقيض، ثم انعدام الاحتمالات المخالفة شيئاً فشيئاً، حتى يتمّ الإدراك الجازم، وهو العلم.

وهذا النوع من العلم، إذا تعلّق بأمر هائل موجِب لاضطراب النفس وقلقها وخشوعها، إنّما يتبدّى الخشوع الذي يقارنه من حين شروع الرجحان، أي قبل حصول الإدراك العلمي واكتماله، ففي وضع الظنّ موضع العلم، إشارة إلى أنّ الإنسان يُمكن أن يصير خاشعاً متى تنبّه إلى أن له ربّاً يمكن أن يلاقيه ويرجع إليه، ولو لم يكن قد بلغ بعدُ مرتبة اليقين بذلك.

وعلى هذا، فالآية قريبة المضمون من قوله تعالى: ﴿..فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا..﴾ الكهف:١١٠. وهذا كلّه لو كان المراد باللقاء في قوله تعالى: ﴿..مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ..﴾، يوم البعث.

في الروايات

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا نَزَلَت بِالرَّجُلِ النّازِلَةُ الشّدِيدَةُ فَلْيَصُم. إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَقولُ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ..﴾ يَعني الصِّيام**».

وعن أبي الحسن (الكاظم) عليه السلام في تفسير الآية، قال: «**الصَّبْرُ الصَّوْمُ، إذا نَزَلَت بِالرَّجُلِ الشِّدَّةُ أوِ النّازِلَةُ فَلْيَصُمْ، إنَّ اللهَ يَقولُ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾. والخَاشِعُ الذّلِيلُ في صلاتِهِ المُقبِلُ عليها، يَعني رَسُول اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم، وأَمير المُؤمنينَ عليهِ السّلامُ**».

أقول: (أشار) عليه السلام إلى استحباب الصوم والصلاة عند نزول الملمّات والشدائد، وكذا التوسّل بالنبيّ والوليّ عندها، وهو تأويل الصوم والصلاة برسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما.